المصـــــدر : الرياض
التـــاريخ : ٢٣-٠٩-٢٠٠٦ العـــدد : ١٣٩٧٠
الصفحـات : ١٤ المسلسل : ٧٦

بئر الخير رقم (٧)

صناعة التنمية بالمملكة منذ اكتشاف أول بئر منتجة للنفط

■ يسير اليوم البدوي في الصحراء وهو يعلم أن ثمة قمر يتبعه!! يسير هذا البدوي وهو يعلم أن جده كان يقطع هذه الأرض بطولها وعرضها دون أن يعلم أنه يمتلك ذهبا أسودا يسكن أعماق هذا الرمل. ذهبا سيغير مجرى حياته وحياة هذا الوطن. الذي جعل قادته نصب أعينهم تنمية الوطن والمواطن معا.

من الذي يصنع الأوطان؟ وكيف يمكن لأي أحد أن يكتب عن حضارة وطن تحول من صحراء مقفرة إلى ربوع للعلم والصناعة والإنسان المدني.

المملكة العربية السعودية، بلد الإنسانية، تعيش هذه الأيام فرحتها بيومها الوطني. وهي تدرك أن هذا اليوم، ما هو إلا محاولة لتأكيد ثقة المواطن بوطنه، القادر على تحويل الرمل إلى مناطق خصبة، ومنتجة. ثقة المواطن بهذا الوطن الذي تحول أبناؤه من بدو يقطعون الصحراء وينتقلون من مكان إلى آخر، بحثا عن الماء والمرعى لقطعانهم، إلى مواطنين يسكنون الحضارة ويصنعونها في الوقت ذاته. كان للنفط قصة، ولبدايته حكاية، حكاية منذ بدايتها كانت أحداثها ترسم ملامحا لهذا الوطن، تزرع فيه الحضارة والرقي والتفوق..

وبما يكون اسم (بئر الدمام رقم ٧) لا يحمل أي تعبير شاعري. إلا أنه ظل رمزاً للنجاح والفأل الحسن في المملكة العربية السعودية. وقد حفرت آلاف الآبار النفطية بعد هذه البئر. لكن لم تحظ واحدة منها بالمكانة التي حظيت بها بئر الخير «الدمام رقم (٧)»، فهي أول بئر تدفق منها الزيت بكميات تجارية.

في تاريخ الأمم لحظات تتصل بين العصور، وتاريخ الرابع من مارس من عام ١٩٣٨م. يعد لحظة حاسمة في تاريخ المملكة، إذ فتحت حقبة جديدة من الزمن: عندما انساب نهر الخير، حاملا معه النفط، من بئر اختبارية سميت بئر الدمام رقم (٧) جرى حفرها إلى عمق (١٤١ مترا يقع على التل المعروف باسم (جبل الظهران).

المصـــــدر : الرياض
التـــاريخ : ٢٣-٠٩-٢٠٠٦
الصفحـات : ١٤
العـــدد : ١٣٩٧٠
المسلسل : ٧٦

اكتشافات مجاورة

كانت البداية عندما تم اكتشاف البترول في دوله البحرين المجاورة مما عزز آمال مؤسس المملكة الملك عبدالعزيز - رحمه الله - في العثور على هذا المورد الاقتصادي الحيوي في المملكة وقد توجت مساعيه في هذا الاتجاه بتوقيع اتفاقية الامتياز الأساس مع شركة ستاندرد أويل أوف كاليفورنيا «سوكال» في ٤ صفر ١٣٥٢هـ الموافق ٢٩ مايو ١٩٣٣م. وتواقد الجيولوجيون إلى المنطقة الصحراوية المحيطة بالدمام وراحوا يدققون على الصخور ويجسون نبض الأرض لعلها تبوح بالسر الدفين الذي تخبئه بين طياتها.

كانت المملكة في ذلك الحين تزخر بالأراضي البكر التي لم تطأها سوى أقدام البدو الرحل، تلك الأقدام التي غاصت في أعماق الصحراء، ولم تكن تعلم حينها أنها تطأ على آبار النفط والذهب الأسود.

استغرق العمل الشاق والبحث زهاء خمس سنوات للإجابة عن تساؤلات الجيولوجيين، فقد عثر على الصخر -الذي يحمل في خباياه الذهب الأسود - في الطبقة التي منحها الجيولوجيون اسم (المنطقة الجيولوجية العربية). وكانت البئر رقم (٧) - التي حفرت في التكوين الجيولوجي المعروف باسم (قبة الدمام) بعد محاولات عديدة ومضنية في البحث والحفر، هي بشارة الخير العميم على المملكة، بعدما توّجت بالنجاح أعمال البحث والتنقيب. فقد ترتب على هذا الحدث الكبير أن أصبحت المملكة بعد سنوات في طليعة الدول المنتجة للنفط. وكان من الطبيعي أن ينعكس ذلك على كل شيء في المملكة، فتزدهر، وتتوافر فيها عوامل البناء اللازمة لتشييد المستقبل، وترتقي فيكون لها صوت مسموع في المحافل الدولية. وفوق هذا وذاك ينتقل شعبها نقلة حضارية عظيمة تجعله يطوع كل تقنيات العصر لخدمته وازدهاره. وكان من نتائج هذا الحدث أيضاً إنشاء الشركة الوطنية التي يعرفها العالم اليوم باسم شركة الزيت العربية السعودية (أرامكو السعودية).

بناء الإنسان

لم تكن المملكة تفكر في استخراج الزيت وانتاجه بكميات تجارية فقط، بل كانت تسعى إلى تكوين حياة حضارية جديدة يكون فيها الإنسان الباني الحقيقي لهذا الوطن، ولذلك كان السبيل الحقيقي لبناء الوطن هو بناء الإنسان، فكانت العملية تكاملية. كل طرف يبني الطرف الآخر. فالإنسان يبني الآلة والمبنى، والمبنى والآلة تساعد الإنسان لأداء مهمته.

مكتب الدمام - تحقيق منير عوض

تبدأ أحداث قصة بئر الخير عندما حط الجيولوجيون الأوائل في ٢٣ سبتمبر ١٩٣٣م رحالهم - أول الأمر- عند قرية الجبيل الساحلية الهادئة، التي تبعد نحو ١٠٥ كيلومترات شمال قبة الدمام. وما التقطوا أنفاسهم، حتى امتطوا الإبل والسيارة في يوم وصولهم نفسه لكي يلقوا نظرة على «جبل البري» الذي يقع على بعد ١١ كيلومترا جنوب الجبيل. بعدها بأسبوع قاموا بالتوغل جنوبا، وإجراء فحص جيولوجي لتلال جبل الظهران. لتتواصل بعدها عمليات الفحص، والبحث، والتنقيب، التي لم تحقق أي نجاح ذي قيمة لمدة سنتين

٧٠٠ م

في ٣٠ أبريل ١٩٣٥م، تقرر بدء العمل في حفر بئر الدمام رقم (١) باستخدام جهاز الحفر الذي يعمل بالمثقب (المثاقب) وكان برج الحفر، الذي يشبه المسلة، أطول منشأة في المنطقة. وبعد سبعة أشهر من التأرجح بين الأمل واليأس، والاخفاق والنجاح، أنتجت البئر دفقة قوية من الغاز وبعض بشائر الزيت. وذلك حينما وصل عمق الحفر إلى قرابة سبعمائة متر. ولكن عطلا في المعدات أجبر طاقم الحفر على إيقاف تدفق البئر ثم سده بالإسمنت. وكانت بئر الدمام رقم (٢) أفضل حالاً. وقد بدأ العمل في حفرها في الوقت الذي أغلقت فيه بئر الدمام (١)، أي في ٨ فبراير ١٩٣٦م. وما أن جاء يوم ١١ مايو حتى كان فريق الحفر قد وصل إلى عمق ٦٣٣ متراً، وهو عمق الطبقة التي ظهر منها النفط في منطقة البحرين الجيولوجية. وحينما اختبرت البئر في شهر يونيه ١٩٣٦م، تدفق الزيت منها بمعدل ٣٣٥ برميلاً في اليوم، وحينما اقتضى أسبوع على ذلك الاختبار، وبعد المعالجة بالحامض، بلغ إنتاج الزيت المتدفق من البئر ٣٨٤٠ برميلاً يومياً. تشجع ذلك على حفر آبار الدمام ٣ و٤ و٥ و٦، دون انتظار التأكد من أن الإنتاج سيكون بكميات تجارية أو التعرف على حجم الحقل المكتشف. تم صدر قرار في شهر يوليه بإعداد بئر الدمام رقم (٧) لتكون بئر اختبار عميقة.

لحظات للتنمية

كانت تلك اللحظات التي تمر بها المملكة لحظات صادقة للتنمية والبناء. كانت حكومة المملكة تسعى لتوطين الصناعة النفطية وما يرتبط بها من إنتاج وتصدير، كل ذلك حفزه أبناء

المصـــــدر : الرياض
التـــاريخ : ٢٣-٠٩-٢٠٠٦ العـــدد : ١٣٩٧٠
الصفحـات : ١٤ المسلسل : ٧٦

الجزيرة الأشاوس، الذين غسلوا بعرقهم أيام الجوع والتعب والتصحر.

كانت زيادة حجم العمل تعني المزيد من الرجال والعتاد والمواد، وأصبح موقع العمل غير قادر على استيعاب الزيادة في عدد العاملين. فمع نهاية عام ١٩٣٦م، ارتفع عدد العاملين من السعوديين إلى ١٠٧٦ بالإضافة إلى ٦٢ عاملاً من غير السعوديين. وكان يفترض أن تسير الأمور بشكل طبيعي، لكن حدث في ذلك الوقت ما لم يكن متوقعاً، فقد أخفقت بئر الدمام رقم (١) بعد أن جرى حفرها إلى عمق يزيد على ٩٧٥ متراً. أما بئر الدمام رقم (٢) فقد تبين أنها رطبة، بمعنى أنها تنتج الماء بشكل رئيس، إذ كان إنتاجها منه يزيد بمقدار ثماني أو تسع مرات على حجم إنتاجها من الزيت. ولم يزد إنتاج بئر الدمام (٣) على ١٠٠ برميل من النفط المُنقل يومياً، مع وجود الماء في هذا الإنتاج بنسبة ١٥٪. وبالنسبة لبئري الدمام رقمي (٤) و(٥) فقد اتضح أنهما جافتان، أي غير قادرتين على إنتاج أي سوائل. وكذلك كان الحال كان مع البئر رقم (٦).

في السابع من ديسمبر ١٩٣٦ بدأ أخصائيو حفر الآبار الاستكشافية في حفر بئر الاختبار العميقة رقم (٧). وإذا كانت الآبار الأخر مخيبة للآمال، فإن البئر رقم (٧) لم تكن خالية من ذلك في البداية. فقد حدث تأخير في عملية الحفر، كما كانت هناك بعض المعوقات، حيث انحشر أنبوب الحفر، وحدث كسر في جزيز الرحى، وستحطت مثاقيب الحفر في قاع البئر المحفورة، وكان لا بد من التقاطها. كما حدث انهيار لجدران البئر. ورغم وصول جهاز الحفر الرحوي - الذي يعمل بقوة البخار - إلى طبقة البحرين الجيولوجية فقد خلت النتيجة واحدة وهي أنه: لا يوجد نفط!

لا لليأس

لم يكن اليأس ليدب في قلوب أبناء المملكة، ولم يكن إصرارهم فقط لأجل النجاح، ولكن كان إصرارهم أيضا لصنع حياة جديدة، ولصنع وطن يفخر بإنجازات أبنائه الذين قرروا أن يبنوا لهم وللأجيال من بعدهم وطناً أجمل وأكثر رقيا وتطورا.

بعد ذلك بعشرة أشهر، وبالتحديد في ١٦ أكتوبر ١٩٣٧م، وعند عمق ١٠٩٧ متراً، شاهد الحفارون البشارة الأولى: ٥,٢ لترات من الزيت في طين الحفر المخفف العائد من البئر، مع بعض الغاز. وفي آخر يوم في عام ١٩٣٧م، حدث أن أخفقت معدات التحكم في السيطرة على البئر، وكان أن تارت البئر قاذفة بما فيها من السوائل والغازات. وبعد الحفر إلى عمق ١٣٨٢ متراً، لم يجد فريق الحفر كمية تذكر من الزيت.

وهكذا ذهب ذلك الإخفاق بمسحة التفاؤل التي سادت قبل ذلك لمدة عام ونصف العام، وبدأت الأسئلة الصعبة تطرح حول مستقبل هذه المخاطرة الاستثمارية التي كلفت الملايين.

بئر منتجة

لكن سرعان ما تغيرت الأحوال. ففي الأسبوع الأول من مارس ١٩٣٨م، حققت بئر الدمام رقم (٧) الأمل المرجو. وكان ذلك عند مسافة ١٤٤٠ متراً تحت سطح الأرض، أي بزيادة تقل عن ٦٠ متر، عن العمق الذي كان الجيولوجيون يتوقعون وجود النفط عنده، فقد أنتجت في الرابع من مارس ١٩٣٨م، ١٥٨٥ برميلا في اليوم، ثم ارتفع هذا الرقم إلى ٣٦٩٠ برميلا في السابع من مارس، وسجل إنتاج البئر ٢١٢٠ برميلا بعد ذلك بتسعة أيام، ثم ٣٧٣٢ برميلا بعد خمسة أيام أخرى، ثم ٣٨١٠ براميل في اليوم التالي مباشرة. وواصلت البئر عطاءها على هذا المنوال مما أكد نجاحها كبئر منتجة. وفي ذلك الوقت، كان قد تم تعميق بئري الدمام رقم (٤) ورقم(٥) حتى مستوى المنطقة الجيولوجية العربية. ولم تخيب هاتان البئران آمال الباحثين عن النفط، فقد أعطتا نتائج مُلبية. وعم الفرح والسرور أرجاء مخيم العمل في الدمام.

دعم ملكي

كما أن الملك عبد العزيز آل سعود -رحمه الله-، لم يبخل أبداً بتقديم كل مساعدة ممكنة للشركة، فقد مد لها يد العون، على أمل أن تسعر الجهود المبذولة في العثور على النفط. ولهذا ما أن أعلن رسميا عن اكتشاف النفط بكميات تجارية (وكان ذلك عقب شهر أكتوبر١٩٣٨م) حتى بدأت الاستعدادات لزيارة جلالته للمنطقة الشرقية التي كانت تعرف آنذاك باسم منطقة الأحساء.

وفي ربيع ١٩٣٩م، تحرك جلالة الملك عبدالعزيز والوفد المرافق له من الرياض بإتجاه الشرق، في موكب ضم ٢٠٠٠ شخص. واجتاز الركب صحراء الدهناء ذات الرمال الحمراء حتى وصل إلى مخيم الشركة الذي كان أطلق عليه رسمياً اسم «الظهران». وقبل وصول جلالته بعشرة أسابيع، كانت قد أقيمت مدينة بالقرب من المخيم، قوامها ٣٥٠ خيمة لتكون مركزا للاحتفالات التي تضمنت زيارة الآبار. وإقامة الولائم، واستقبال وفود المهنئين، والتيام بجولات بحرية في الخليج العربي.

الشحنة الأولى

وقد تزامن توقيت زيارة جلالة الملك عبدالعزيز مع اكتمال خط الأنابيب الذي امتد من حقل الدمام إلى ميناء رأس تنورة، بطول٦٩كيلومتراً، حيث رست ناقلة النفط التي أدار الملك عبدالعزيز الصمام بيده لتعبئتها بأول شحنة من النفط السعودي. وهكذا، كانت هذه أول شحنة من الزيت الخام تصدرها المملكة على متن ناقلة في ١١ ربيع الأول ١٣٥٨هـ الموافق للأول من مايوعام١٩٣٩م.

وابتهج الشعب السعودي آنذاك باكتشاف البترول وإنتاجه. وفي الواقع، فإن الشيء الذي لم يعرفه أولئك الذين احتفلوا بهذا الاكتشاف في المملكة هو أن حقل الدمام ليس إلا واحداً من عشرات حقول النفط والغاز الطبيعي، بما في ذلك حقل الغوار، أكبر حقول النفط في العالم، وحقل السفانية الذي يعد أكبر حقل نفطي في المناطق المغمورة على مستوى العالم أيضا.

تواصل الإنتاج

والآن كيف أصبح حال بئر الدمام رقم (٧) بعد كل هذه السنين ؟ لقد كان البداية صعبة. لكن سرعان ما استقرت حال البئر فأصبحت مثالا حسناً للآبار النفطية المنتجة حتى وصل إنتاجها من ١٥٠٠٠ إلى ١٨٠٠٠ برميل يوميا، ولم يكن الحفارون الأوائل يتوقعون أن هذه البئر حتى بعد أن نجحت في إنتاج النفط بكميات تجارية، سوف تظل قادرة على مواصلة الإنتاج لعدة عقود من الزمن، وأنها سوف تنتج وحدها أكثر من ٣٢ مليون برميل من الزيت. وفي عام ١٩٨٢م، استبعدت بئر الدمام رقم (٧) من قائمة الآبار المنتجة لأسباب تشغيلية، وذلك بعد ٤٥ سنة من الإنتاج المستمر. ولكن هذا الحدث لا يعني أنها نضبت، فما تزال قادرة على الإنتاج بالتدفق الطبيعي، أي كما كانت عليه في الماضي.

قصة بئر الدمام رقم (٧) هي قصة دخول المملكة العربية السعودية مجال الصناعة البترولية، وبشارة بالخير العميم الذي بدأ عطاؤه يعم البلاد وما عليها من عباد، الأمر الذي جعل خادم الحرمين الملك عبدالله بن عبدالعزيز يأمر بأعادة تسمية هذا البئر في أخر زيارة له لموقع البئر، ليكون اسمه الجديد (بئر الخير)

صناعة وطن

كانت تلك البئر المنتجة الأولى، بئر رقم ٧، والتي من خلالها انطلقت صناعة النفط، ومن ثم اكتشفت المملكة المئات والمئات من الآبار المنتجة للنفط. ويأتي ذلك باكتشاف المكامن النفطية بأحدث الأجهزة. ولكن تأتي هذه الاكتشافات والمملكة تشهد نقلة حضارية، والعديد من برامج التنمية التي جعلت المملكة تقف في مصاف الدول الجادة في عمليات التنمية والنهوض الحضاري والصناعي. لم يعد أبناء المملكة أولئك البدو الرحل، الذين كانت تمتص أقدامهم لهيب الصحراء، فأبناء المملكة اليوم يدرسون في أفضل الجامعات، وفقا لأفضل البرامج الأكاديمية. أبناء المملكة اليوم يديرون أفضل المستشفيات، وأفضل المصانع، ويتودون بكفاءة عالية أكثر الشركات ربحية ونجاحا.

المصـــــدر : الرياض
التـــاريخ : ٢٣-٠٩-٢٠٠٦ العـــدد : ١٣٩٧٠
الصفحـات : ١٤ المسلسل : ٧٦